خصوصية المرحلة التحولية التي تمثلها نهاية السبعينات وبداية الثمانينات ـ وهذه مأمورية أكبر من إمكانياتنا ومما يسمح به السياق العام لهذا العمل ـ فسنحاول تقديم بعض الملاحظات لا غير:

1 ـ وجد المبدعون أنفسهم بين قطبي انجذاب مؤثرين على الساحة الثقافية المحلية، فمن جهة هناك الحضور القوي لتجربة الأجيال السابقة، وعبرها حضور لمختلف المتغيرات التي عرفتها الثقافة المشرقية، والتي فعلت على أكثر من مستوى، ومن جهة ثانية، هناك تواصل مباشر مع الفضاء الثقافي الغربي في نموذجه الفرنسي خصوصاً، بحيث تبين هذا الجيل ـ وإن بصورة متأخرة بعض الشيء ـ ملامح الثقافة الفرنسية وهي تتشكل في مرحلة ما بعد 1968.

2 ـ هذا الوضع أنتج وعياً قلقاً وملتبساً بضرورة الفعل المؤثر في المحيط الثقافي، وعدم الركون إلى فعل التأثير الممارس بشكل عنيف من الخارج والداخل على السواء. هذا الوعي، وجد ترجمته في الموجة التجريبية التي عمت المجالات الإبداعية المذكورة، تجريبية يبحث من خلالها المبدعون عن هويتهم المميزة على ثلاثة مستويات:

أ ـ التميز بالقياس إلى سابقيهم.
ب ـ التميز بالقياس إلى نظرائهم في الشرق.
جـ ـ التميز بالقياس إلى الآخر (أوروبا)[31].

3 ـ عن الوعي المذكور تولدت الرغبة في تأسيس ثقافة جديدة كثقافة بديلة، ثقافة انتقادية، بأساليب عمل مغايرة، تعيد الاعتبار للمحلي في مقابل المشرقي، وتقف في مقابل الثقافتين السائدة والإصلاحية ـ تسعى لكسب المعاصرة بمنظور مستقبلي[32].

في إطار هذه الثقافة البديل، يمكن وضع التنظير للتجربة الفضائية في الشعر المغربي، هذا التنظير الذي جاء كما رأينا سالفاً، مسكوناً بحس المواجهة ولكنه إلى جانب ذلك، جاء مفصحاً عن هذا التجاذب بين قطبي الشرق والغرب وبينهما المحلي الباحث عن متنفس للبروز وتحقيق التميز.

فمن جهة توجد تجارب الفضائيين الأوروبيين، الثاوية صراحة أوضحنا خلف البيانات،

---

(31) يمكن رصد هذا المسلك التجريبي، في الدعوة الاحتفالية في المسرح مع عبد الكريم برشيد، وفي موجة الرواية الجديدة مع محمد عز الدين التازي وأحمد المديني والميلودي شغموم، وفي القصة القصيرة مع أحمد بوزفور ومصطفى المسناوي، وفي الفنون التشكيلية مع حركة التشكيليين الشباب في بداية الثمانينات على الخصوص.

(32) ينظر الحوار الذي أنجزه الشاعر بول شاوول مع جماعة الثقافة الجديدة، في مجلة: الفكر العربي، مجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية، ع: 9/8، السنة الأولى، يناير/ مارس 1979.